بيروت يا بيروت...
هكذا كنتِ فوتوغرافيًا بين ١٨٤٠ و١٩٠٠

سهيل منيمنة

في العام ٢٠١٨، صدر عن «مركز التراث اللبناني» في الجامعة اللبنانية الأميركية كتاب «الصورة ذاكرة المكان»، أعدَّه وقدَّمَ له الشاعر هنري زغيب. جاء في مقدمته: «تكون الأمكنة محفوظةً في نبض الصورة، ولو جامدة، كما يتجمّد العنبرُ في ذاكرة المكان ويبقى فَوحُهُ نابضًا على الزمان».

يحتل التصوير الفوتوغرافي المبْكر مكانةً رئيسةً في تاريخ بيروت. عندما وصلت الكاميرا إلى المدينة سنة ١٨٤٠، كانت بيروت تنفتح على العالم الأوسع كميناء للتجارة، ومنارة للريادة والحضارة. والمصورون القدامى – بعضهم زوار، وبعضهم متجذِّر في المدينة – وجّهوا عدساتهم نحو مرفَإِها وأسواقها ومدارسها وكنائسها ومساجدها، والأهم: نحو سكانها. وما تركوه لنا ليست مجرد سلسلة من الصور، بل هي أقدم شهادة بصرية على روح المدينة.

تتيح لنا هذه الصور أن نسير في شوارع لم تعد موجودة، وأن نتعرف على وجوه مجتمع عالمي، وأن نشهد على التوازن الفريد للمدينة بين الأصالة والحداثة. وبذلك، أصبح التصوير الفوتوغرافي المبْكر أكثر من مجرد فضول تقني، وأصبح حارسًا ذاكرةَ مدينة.

بالنسبة لناشطي التراث اليوم، مَن يعملون بإخلاص لنقله إلى الأجيال التالية، تُعَدُّ هذه الصور أحد أهم المصادر الحيوية. تُذكِّرنا بما فُقد، وتُعزِّز دعوتنا لحماية ما تبقَّى. فالتصوير الفوتوغرافي منح بيروت القدرة على تذكُّرِ ذاتها، ولا يزال جسرًا يربط الماضي بالحاضر، ويحثُّنا على تقديرِ عظَمة الإرث الثقافي الذي يُميز المدينة، وعلى توثيقِه وحمايتِه.

مهمتنا إذًا: إنقاذ هذه المحفوظات النادرة الثمينة، ومشاركتها على نطاق واسع، وضمان أن ترث الأجيال المقبلة لا قصص بيروت وحسْب، بل صوَرًا تُحيي تلك القصص في ذاكرة المكان.

هنا نبذة عن كلٍّ من أولئك المصوّرين الفوتوغرافيين الرواد، وثمار كاميراتهم.

فيسكيه | Frédéric-Goupil Fesquet

له فضل التقاط أول صورة عن بيروت في ٣٠ كانون الثاني ١٨٤٠، يظهر فيها جامع السرايا (حاليًّا جامع الأمير منصور عساف، ولا يزال قائمًا إلى اليوم)، كما يَظهر برج الكشاف في ساحة البرج، وصولاً إلى تلال منطقة الأشرفية.

تم تظهير هذه الصورة بتقنية Daguerreotype. مصير الصورة الأصلية لا يزال مجهولاً، إنما تم حفرها ونُشرَت بعد سنة ١٨٤٠ في مجموعة Excursions Dagueriennes.



أَقْدَمُ صورة التقطت لبيروت (١٨٤٠)

جورج كيث | George Keith

قبل زيارة الفرنسي فيسكيه إلى بيروت، والتقاطه أول صورة فوتوغرافية للمدينة، غادر الدكتور جورج كيث بريطانيا في أول رحلة له إلى الأرض المقدسة، مع والده القسيس ألكسندر كيث وثلاثة قساوسة آخرين في ١٢ نيسان ١٨٣٩ زار خلالها الأب والابن فلسطين والبتراء ودمشق وبعلبك وأرز لبنان وبيروت وصور، ومواقع أخرى، والتقط جورج كيث نحو ٣٠ صورة فوتوغرافية Daguerreotype لأماكن ورد ذكرُها في الكتاب المقدس.

كان جورج كيث (١٨١٩–١٩١٠) طبيبًا سْكوتلنديًا، ومصورًا هاويًا، ومؤلفًا. كان أول مصور بريطاني معروف بالتقاطه صورًا فوتوغرافية بتقنية

الداغيريوتيب في الأرض المقدسة. كان هو وشقيقه عضوين مؤسسين في جمعية التصوير الفوتوغرافي الاسكوتلندية (تأسست عام ١٨٥٦).

بعد عودتهم إلى بريطانيا، أصدر الناشر توماس فارتي إعلانًا في حزيران ١٨٤٧، عرض فيه ستة من مناظر كيث، ولاحقًا عرَضَ جورج أعماله لدى «جمعية إدِنبُرغ للتصوير الفوتوغرافي» بين كانون الأول ١٨٧٦ وأوائل ١٨٧٧.



محفورة عن صورة لجورج كيث: المرفأُ وقلب بيروت (١٨٤٤)

لا يُعرف مكان صور داغيرية لجورج كيث؛ والسجل الوحيد لبعضها: ألواح استُخدمت في كتاب والده «دليل على حقيقة الدين المسيحي» (طبعة ١٨٤٨).

جوزيف فيليبرت دي برانغي | Joseph-Philibert Girault de Prangy

ذاع صيت الفرنسي جوزيف فيليبرت جيرو دي برانغي (١٨٠٤–١٨٩٢) فنانًا موهوبًا ومؤرخًا ورسامًا معماريًّا ومصورًا فوتوغرافيًّا رائدًا. وُلد في لانغريس (مقاطعة هوت مارن) لعائلة أرستقراطية ثرية. درس الفن في مدينته، ثم تابع دراسته في باريس، مُبديًا اهتمامًا بالغًا بعلم الآثار والعمارة. في عام ١٨٣٦، أصبح عضوًا مؤسسًا في لجنة لانغريس الأثرية

(سُميت لاحقًا «جمعية لانغريس التاريخية والأثرية). في عام ١٨٤١، قبل عام واحد من رحلته الفوتوغرافية الطويلة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، نشر كتاب «مقال عن العمارة العربية والأخلاق في إسبانيا وصقلية والبربرية». ويبدو أنه تعلَّم التصوير الفوتوغرافي عندما كان في باريس عند أوائل أربعينات القرن التاسع عشر.

التقط صورًا في فلسطين وحلب ودمشق وبعلبك وأرز جبل لبنان وطرابلس والزُوق وبيروت. وهو أول مصور يلتقط صورًا لحلب، إذ لم تُسجَّل قبله أي صورة سابقة للمدينة. أظهرت مجموعته ١٠ صور لمناظر من حلب قد يكون التقطها في ربيع ١٨٤٣، لجوانب مختلفة من القلعة والمدينة. زار بيروت مرتين خلال رحلته. والصورة الفوتوغرافية الوحيدة المعروفة التي التقطها كانت «بيروت، على حافة الإيمتيجيه» (رقمها ٢٧٣) تصور رجلاً جالسًا على متن سفينة، ربما كان مضيفه ورفيق سفره. المناظر الأخرى التي التقطها في لبنان كانت لطرابلس والزوق. معظم صوره الداغيرية ليست معروفة اليوم. حصلت المكتبة الوطنية الفرنسية عام ٢٠٠٠ على مجموعة من ١٥٨ صورة، بينها نحو ٥٠٠ صورة موزعة بين المتاحف والمكتبات العامة وهواة جمع الصور.

ماكسيم دو كامب | Maxime Du Camp

كان الفرنسي ماكسيم دو كامب (١٨٢٢–١٨٩٤) كاتبًا ومصورًا، اشتهر بتصويره الفوتوغرافي أكثر من كتابته. التقط أكثر من ٢٠٠ صورة حرارية خلال رحلةِ عام كامل إلى شرق البحر الأبيض المتوسط. تعلَّم التصوير الفوتوغرافي على يد غوستاف لو غراي، المصور الفوتوغرافي الشهير، ثم انطلق في رحلته إلى الشرق الأوسط (١٨٤٩–١٨٥٩) برفقة صديقه الكاتب غوستاف فلوبير. كَلّفه وزير التعليم العام مهمَّةً أثرية: تصوير مواقع في مصر وسوريا. التقط دو كامب أول صورة فوتوغرافية له في الإسكندرية في تشرين الثاني ١٨٤٩. بعد التصوير في وادي النيل، سافر هو وفلوبير إلى سوريا، ووصلا إلى بيروت في ١٩ تموز ١٨٥٠. ووفْقَ فؤاد دباس في كتابه «مصورو بيروت ١٨٤٠–١٩١٨»، التقط دو كامب صورتين لبيروت: الأولى للمدينة من مستشفى الحجْر الصحي (الكرنتينا)، والأخرى للميناء من الحصن بعد انتهاء فترة الحجْر. ثم زار فلسطين ودمشق وبعلبك والتقط صورًا فيها.

عاد دو كامب إلى باريس عام ١٨٥١ ومعه ٢١٤ سلبيًا. عرض صوَره على جمعية التصوير الجوي عام ١٨٥٢. وكان ألبوم رحلاته «مصر، النوبة، فلسطين وسوريا» الأول من نوعه. نُشر في العام ذاته، وكان أول

ألبوم رحلات يحمل صور المعالم الأثرية، فيه نحو ١٢٥ صورة أصلية مُركَّبة مطبوعة بالملح، من سلبيات ورقية رطبة [بطريقة بلانكار-إيفرار]؛ وأَصدر في طبعة خاصة نحو ٢٠٠ نسخة كبيرة مُجلَّدة بالجلد. بيعت صور دو كامب في معظمها، وعُرضت عام ١٨٥٥ في المعرض العالمي – باريس، ونال عليها مِدالية من الدرجة الثانية.

جون شو سميث

كان عضوًا في «جمعية دَبلن للتصوير الفوتوغرافي» بين ١٨٥٤ و١٨٦٠. وبين كانون الأول ١٨٥٠ وأيلول ١٨٥٢، قام وزوجته بجولة كبرى من إيطاليا إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، عاد منها بإحدى أكبر مجموعات صور مطبوعات ملْحية التُقطت في شرق البحر الأبيض المتوسط: ٣٤٦ صورة سلبية بتقنية الكالوتيب، و١٩١ صورة سلبية مملَّحة، بينها صورٌ لبيروت. وصوَره لميناء بيروت وقلعتها من أقدم الصور التي التُقطت لذلك الموقع؛ لم يسبقه في ذلك إلاَّ ماكسيم دو كامب في ١٩ تموز ١٨٥٠.

اتسمت صور سميث بدقة عالية وإتقان تقني استثنائي، مقارنةً بمصوري الطباعة الملحية الهواة الآخرين في تلك الفترة. لا شك أنه كان رائدًا في التاريخ المبكر للتصوير الفوتوغرافي في شرق البحر الأبيض المتوسط. أتقن تقنية الكالوتيب، وتفوقت صوره على صور الآخرين في الفترة ذاتها، من حيث الجودة والكمية.

صوَر سميث محفوظة حاليًّا في أربع مجموعات رئيسية: متحف جورج إيستمان، روتشستر نيويورك (تتضمن صورتين لبيروت)، ومركز هاري رانسوم لأبحاث العلوم الإنسانية في جامعة تكساس، جمعية التصوير الفوتوغرافي الأيرلندية في دبلن، ومجموعة مكتبة جامعة إدنبرغ وتتكون من مجلد يحتوي على نسخة مطبوعة من يوميات رحلة من إيطاليا إلى الأرض المقدسة (١٨ كانون الأول ١٨٥٠ إلى ٦ أيلول ١٨٥٢)، ويوميات على ميكروفيلم تغطي الفترة من ١٨٤٩ إلى ١٨٥٠؛ وخمسة صناديق من الصور الفوتوغرافية فيها مشاهد من إيرلندا، وباريس، وسويسرا، وروما، وبومباي، وأثينا، والقسطنطينية، والقدس، والقاهرة، وطيبة، وأبو سمبل، والنوبة، والبتراء، وغيرها.

فيلهلم فون هيرفورد | Wilhelm von Herford

كان فيلهلم فون هيرفورد (١٨١٤–١٨٦٦) موظفًا حكوميًّا بروسيًّا ومصورًا هاويًا. درس القانون في برلين وبريسلاو وبقي موظفًا حكوميًّا

حتى ١٨٤٦؛ ثم بدأ يسافر إلى إيطاليا وإسبانيا بين ١٨٤٩ و١٨٥٠. وشهدت خمسينات القرن التاسع عشر تطورَ عملية الطباعة بالملح فمكّنت المصورين من السفر بكاميراتهم وإنتاج صور مطبوعة متعددة.

سافر فون هيرفورد إلى باريس عام ١٨٥٣ والتقى بإدوارد بالدوس (١٨١٣-١٨٨٩)، وهو مصور بروسي معروف وصل إلى العاصمة الفرنسية عام ١٨٣٩ لدراسة الرسم. بين ١٨٥١ و١٨٦١، تخلى بالدوس عن الرسم والتقط الكاميرا ليصبح أحد أبرز المصورين. اختارته الوكالة الحكومية «لجنة الآثار التاريخية» لإجراء مسوحات هليوغرافية للتراث المعماري للبلاد، مع التركيز بشكل خاص على الآثار التي تحتاج إلى ترميم.

بدأ بالدوس بتعليم فون هيرفورد فن التصوير الفوتوغرافي في آب ١٨٥٣. وبعد أن أمضى نحو عام في التصوير في إيطاليا، واصل رحلته الفوتوغرافية في أوائل ١٨٥٥ إلى صقلية، وساردیس، وطرابزون، وبيروت. بين ١٨٥٥ و١٨٥٧، التقط فون هيرفورد صوَرًا في بيروت وبعلبك ودمشق. ويُعتقد أن الصورة البانورامية لبيروت في لوحين متَّصلَين، هي أول بانورامية تُلتقط للمدينة. وكان أيضًا أول ألماني يلتقط صورًا في الشرق الأوسط. وما تبقى من أعماله اليوم محفوظ في متحف أغفا فوتو-هيستوراما في كولونيا.

ألبرت أوغسطس إيزاك | Albert Augustus Isaacs

كان القس ألبرت أوغسطس إيزاك (١٨٢٦–١٩٠٣) رجل دين بريطانيًّا، ومؤرخًا وعالم أنثروبولوجيا ومصورًا هاويًا، وكان من أوائل من استخدموا تقنية التصوير الحراري في الأرض المقدسة. لا يُعرف متى وأين بدأ إيزاك اهتمامه بالتصوير الفوتوغرافي، والواضح من كتاباته أنه كان مهتمًا بالجغرافيا التوراتية.

أمضى شتاء ١٨٥٦–١٨٥٧ في سوريا، وقام المصور الاسكتلندي جيمس غراهام المقيم في القدس بمرافقته في رحلته إلى البحر الميت وبيروت. وصلا إلى بيروت عند غروب الشمس في أوائل كانون الثاني ١٨٥٧. وأثناء انتظار إيزاك في بيروت وصولَ الباخرة لرحلة العودة، استغلَّ وقته بزيارة البعثة الأميركية في قرية عبيه الجبلية اللبنانية. غادر إيزاك بيروت في ١٦ كانون الثاني ١٨٥٧. ثم نُشرَت بعض الصور التي التقطها كطباعة حجرية ملونة في كتبه، وزار سوريا مرة أخرى عام ١٨٦٩، لكن المواد التي جمعها خلال زيارته الأولى شكلت أساسًا لكتبه الأخرى التي نُشرت لاحقًا، والمحاضرات التي ألقاها لتعزيز الاهتمام بالأرض المقدسة.

لـويس دي كـليرك | Louis de Clercq

في ١١ أيلول ١٨٥٩، وصلت بعثة آثار فرنسية إلى ميناء اللاذقية السوري، وكان في فريقها المصور الفوتوغرافي لويس دي كليرك الذي التقط مئات الصور، لكنه اختار ٢٢٢ صورة فقط للنشر على نفقته الخاصة. وهو قسمها إلى ستّ مجموعات في طبعة محدودة من خمسين نسخة.

بشكل عام، كانت صور دي كليرك أولى الصور المُنفَّذة ببراعة لسوريا، تميزت بسلسلة مناظر بانورامية ذات جمال وبساطة، وتكشف عن مستوى تقني عالٍ ومثير للإعجاب. وفي الألبوم الأول أربع صور فوتوغرافية لبيروت، من بينها صورتان بانوراميتان بديعتان.



بانورامية دو كليرك لبيروت نحو ١٨٥٩ (مجموعة سهيل منيمنة)

في عام ١٨٦١، عرض دي كليرك جميع الصور المنشورة عن «رحلة إلى الشرق» في المعرض الرابع للجمعية الفرنسية للتصوير الفوتوغرافي، كما عرض ثلاث صور في المعرض الكبير عام ١٨٦٢ في لندن ونال عليها إشادة تشريف. وفي كانون الثاني ٢٠٠٣ ظهرت مجموعة من ١٥٣ صورة سلبية لأول مرة منذ وفاة دي كليرك في مزاد علني في دار المزادات الفرنسية «غاليري دي شارتر»، وفيها مشاهد من سوريا ومصر وإسبانيا.

أوتـون فـون أوسـتهايم | Othon von Ostheim

قليلاً كان عدد المصورين من أصول ألمانية ونمساوية الناشطين في شرق البحر الأبيض المتوسط، مقارنةً بالفرنسيين والبريطانيين. لكنّ ما تبقى من نتاجهم الفوتوغرافي يعكس مهارة فنية عالية. بين هؤلاء المصوّرين: فون أوستهايم الذي نشط في خمسينات وستينات القرن التاسع عشر؛ والمعلومات الوحيدة عنه مستقاة من كتاب «يوميات الرحلة

إلى الشرق» للكونت دي شامبور (١٨٦١)، وفيه أن فون أوستهايم التقط صورًا فوتوغرافية في القدس ودمشق وبيروت، ونشر فؤاد دباس منظرين لبيروت التقطهما فون أوستهايم.

آرثر لوكيس مانسيل | Arthur Lukis Mansell

كان آرثر مانسيل (١٨١٥–١٨٩٠) ابن الأميرال السير توماس مانسيل، ضابطًا في البحرية البريطانية. التحق بالبحرية من الكلية البحرية الملكية في أيلول ١٨٣١. وفي كانون الأول ١٨٤١ حصل على تكليفه. وبين آذار ١٨٤٢ و١٨٤٦، عمل في البحر الأبيض المتوسط برتبة ملازم إضافي في سفينة المسح «بيكون»، بقيادة الكابتن توماس غريفز. وفي عام ١٨٦٠، عندما كان مانسيل قائدًا للسفينة الحربية «فايرفلاي»، التقط صورة بانورامية رائعة لبيروت (حاليًّا في المكتبة البريطانية).

غوستاف لو غراي | Gustave Le Gray

تدرب غوستاف لوغراي (١٨٢٠–١٨٨٤) كرسّام عام ١٨٤٢ في استوديو بول ديلاروش، وأصبح لاحقًا أهم مصور فوتوغرافي فرنسي في القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٦٠، قبِل لوغراي دعوة من الكاتب ألكسندر دوماس لتصوير مواقع خلال رحلة إبحار طويلة في البحر الأبيض المتوسط. في ٢٦ تموز١٨٦٠، غادر مالطا عبر الإسكندرية ويافا وحيفا، ليصل إلى بيروت في ١٠ آب؛ وبعد ستة أيام من وصوله، نزلت القوات الفرنسية في المدينة. وبين آب وأيلول ١٨٦٠، نشرت صحيفة «لوموند» المصوَّرة سلسلة تقارير كتبها لوكروي، إلى جانب صور فوتوغرافية التقطها لوغراي بتقنية الحفر الضوئي. صوّر لوغراي بيروت وأرز لبنان وبعلبك، كما التقط صورة ليوسف كرم (أصولُها حاليًّا في المكتبة الوطنية الفرنسية – باريس). وفي عام ١٨٦٧ استقر في القاهرة أستاذًا للفنون في المدرسة العسكرية، وهناك توفي في ٢٩ تموز ١٨٨٤.

إدوارد لوكروَى | Édouard Lockroy

كان سياسيًّا وصحافيًّا ومصورًا هاويًا فرنسيًا. انقطع عن دراسته في معهد الفنون الجميلة لمرافقة الكاتب ألكسندر دوماس إلى إيطاليا، ومتابعة حملة جوزيبي غاريبالدي في صقلية عام ١٨٦٠. ولاحقًا في الصيف عمل

مراسلاً حربيًا في بيروت لتغطية الحرب الأهلية في جبل لبنان. وفي ٢٦ تموز ١٨٦٠، غادر لوغراي ولوكروى إلى بيروت عبر الإسكندرية. في تلك الفترة وصل إلى بيروت المستشرق والمؤرخ إرنست رينان في ٢١ تشرين الأول ١٨٦٠ واتصل بلوكروى وباشرا العمل معًا في «حفريات رينان» في جبيل وطرطوس وجزيرة أرواد (أرادوس القديمة) وصيدا وصور.

راؤول دو سان سين | Raoul de Saint-Seine

أدت الحرب الأهلية في سوريا عام ١٨٦٠ إلى إنزال فيلق المشاة الفرنسي. وكان في بيروت مصورون فرنسيون، بينهم راؤول دو سان سين (١٨٣٦–١٩١٥)، وهو رحالة أرستقراطي ومصور هاوٍ من ديجون وصل إلى بيروت في نيسان ١٨٦٠، بصفته عضوًا في اللجنة الفرنسية التي اهتمت بلاجئي الحرب.

صوّر دو سان سين في بيروت، ولكن لم يبقَ سوى القليل من صوره المجسمة. نشر فؤاد دباس أربعًا من هذه الصور في كتابه «مصورو بيروت ١٨٤٠–١٩١٨». أُعيد إنتاج صور راؤول دي سان سين بشكل مجسم في استوديوهات لويس فيكتورين سامسون في باريس.

ألبر فيكتور ناو دو شامبلوي | Albert Victor Nau de Champlouis

كان نقيبًا في الجيش الفرنسي، ورسّام خرائط ومصورًا هاويًا. في آب ١٨٦٠، أُرسل مع الجيش الفرنسي إلى سوريا ضمن «الحملة السورية». وخلال خدمته التقط صورًا لبيروت وبعلبك ودمشق وصيدا وجبيل وطرابلس والمعسكر الفرنسي في قب الياس في سهل البقاع. عُرضت صوره عام ١٨٦٣ في الجمعية الفرنسية للتصوير الفوتوغرافي. وفي العام نفسه، شارك في معرض لندن، ونال تنويهًا شرفيًا لصوره في سوريا بتقنية «الرطب والجاف»، كما وصفها هو.

فيلهلم هامرشميت | Wilhelm Hammerschmidt

نشط رواد التصوير الفوتوغرافي الألمان والنمساويون في شرق البحر الأبيض المتوسط منذ أوائل خمسينات القرن التاسع عشر، منهم فيلهلم هامرشميت (١٨٢٢–١٨٨٧) الذي كان بين مصورين زاروا شرق البحر

الأبيض المتوسط، ومنهم لويجي فيوريلو وفرانشيسكو كواريل اللذان تندر المعلومات عن سيرتهما الذاتية أيضًا، ومنهم جاكوب أوغسطس لورينت (١٨١٣–١٨٤٤)، وويلهلم فون هيرفورد (١٨١٤–١٨٦٦)، وأوثون فون أوستهايم.

نحو نهاية خمسينات القرن التاسع عشر، كان لدى هامرشميت استوديو في برلين. نحو ١٨٦٠، تعاونًا مع المصور الفرنسي جان أدولف براون (١٨١٢–١٨٧٧) افتتح في القاهرة محترفًا، وفي عام ١٨٦٤ وسّع أنشطته الفوتوغرافية إلى سوريا، فالتقط صورًا في فلسطين وبيروت وبعلبك ودمشق. تميزت أعماله بدقة صوره وجودتها العالية، ما يُظهر مهارة تقنية عالية. وهو يتفوق على جميع المصورين الآخرين في تلك الفترة، لتعاونه مع رائد الكيمياء الضوئية هيرمان فيلهلم فوجل (١٨٣٤–١٨٩٨)، ما يُفسر الجودة العالية لصوره. وكانت أوصاف صوره تُطبع بالألمانية والفرنسية، كما تُصوِّر مناظره المجسمة وبطاقات الزيارة دراسات معمارية وصُوَرًا شخصية، بعضها مُلوَّن يدويًا في الأصل. وفي ستينات القرن التاسع عشر، عاد إلى ألمانيا وافتتح محترفًا جديدًا في برلين. وُجد اسمه في دفتر عناوين في برلين كمصور فوتوغرافي في المدينة.

لويس فين | Louis Vignes

كان الفرنسي لويس فين (١٨٣١–١٨٩٦) مصورًا هاويًا وضابطًا بحريًّا من بوردو. بدأ استخدام تقنية الكالوتيب عام ١٨٥٩. التحق بالمدرسة البحرية عام ١٨٤٦ وأصبح نائب أميرال ومفتشًا عامًا للبحرية عام ١٨٩٠. وفي حزيران ١٨٥٩، غادر فرنسا إلى لبنان عبر صقلية وتركيا.

وفي ألبومَين نادرين (حصل عليهما من أحفاده متحف نابو في الهِري – شمال لبنان) دليل أنشطته الفوتوغرافية بين ١٨٥٩ و١٨٦٢ و١٨٦٤. يُثبت هذان الألبومان أن فين كان من أوائل من صوّروا على نطاق واسع في بيروت، وكان يسكنها في أوائل ستينات القرن التاسع عشر. في الألبوم الأول («رحلة إلى الشرق ١٨٥٩–١٨٦١/١٨٦٢»). ٨١ صورة سلبية بتقنية الكالوتيب لمناظر طبيعية ومعالم أثرية وصوَر شخصية، بينها طبعة ألبومين من صورة سلبية لغوستاف لوغراي، تشهد على لقاء لوغراي وفين في باليرمو بصقلية قبل توجههما إلى بيروت. التُقطت الصور في الجزيرة الخضراء (كانون الثاني ١٨٦٠)، وباليرمو (تموز ١٨٦٠)، وقبرص والإسكندرونة (سبتمبر ١٨٦٠)، ولبنان (بيروت، نهر الكلب، صيدا – آب وتشرين الثاني ١٨٦٠)، وفلسطين (عكا، يافا، جبل الكرمل، والقدس –

تشرين الثاني ١٨٦٠). إلى سلسلة رائعة من ١٥ صورة لعائلات أرستقراطية لبنانية (أيلول وتشرين الأول ١٨٦٠). وفي هذا الألبوم سبع لقطات لرحلة عودته إلى فرنسا وبلوغه تولون (نيسان ١٨٦١).



قلعة بيروت البحرية بعدسة لويس فين (تشرين الأول ١٨٦٠)

وفي الألبوم الآخر ١١٥ صورة فوتوغرافية من ١٨٦٤ وتتألف صور بيروت من ١٠ بانورامات ومنظرين. وفي عام ١٨٩٣، كان فين قائد السفينة الحربية «لو فورميدابل» (إحدى سفن الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط)، وكان يزور موانئ هذا البحر بانتظام. توفي في تولون عام ١٨٩٦ أثناء عمله مفتشًا عامًا للبحرية.

هنري سوفير | Henri Sauvaire

كان هنري سوفير (١٨٣١–١٨٩٦) مستشرقًا فرنسيًّا وخبير عملات ودبلوماسيًّا ومصورًا هاويًا. نشأ لدى عمه التاجر لدى دول في الشرق الأوسط. درس العربية في مدرسة ليسيه تيير في مرسيليا، وبين ١٨٥٧ ١٨٧٩، خدم لدى البعثات الدبلوماسية الفرنسية في الخارج.

في بداية مسيرته الدبلوماسية عام ١٨٥٧، عُيّن مستشارًا لدى القنصلية الفرنسية في الإسكندرية. وفي نهاية ذلك العام عُيّن مترجمًا لدى القنصلية الفرنسية في بيروت. إنضم إلى جمعية التصوير الفوتوغرافي في مرسيليا عام ١٨٦٠، وخلال خدمته الدبلوماسية في سوريا، أتيح له التصوير في عدة أجزاء من المنطقة، بينها بيروت ودمشق وفلسطين، وصوّر النساء

بزيهن التقليدي. وفي عام ١٨٧٥، نشر الفيكونت شارل جان ميلكيور دي فوغيه ما يقرب من ١٠٠ نسخة من صور سوفير الفوتوغرافية.

إلى أنشطته الدبلوماسية والتصويرية، كان سوفير من أبرز المستعربين. ترجم إلى الفرنسية العديد من كتب التاريخ، بما في ذلك تاريخ منطقة الخليل ووصفها، ودراسات منشورة في المجلة الآسيوية تناقش جوانب من علْم العملات الإسلامية.

كميل روجييه | Camille Rogier

كميل روجييه (١٨١٠–١٨٩٦)، رسام ومصور فرنسي، درس الرسم والنقش في تولوز. بين ١٨٣٣ و١٨٤٣، كان يعرض أعماله سنويًا في «معرض باريس السنوي». في عام ١٨٣٧، سافر إلى إيطاليا لثلاث سنوات. ومن ١٨٤٠ إلى ١٨٤٣، عاش في القسطنطينية محاولاً جني المال من بيع صوره الداغيرية. بعد عودته إلى باريس، عُيّن رسامًا رسميًا لمجلة «L'Illustration»، ونشر مطبوعات حجرية في مجلات أخرى، منها «Le Monde dramatique»، و«Le Journal des enfants»، و«Le Journal des gens du monde».

في عام ١٨٤٨، نشر ألبومًا بعنوان «التركي: عادات وتقاليد شرقية في القرن الثامن عشر...»، تضمن ٥٠ مطبوعة حجرية مع مقدمة من تيوفيل غوتييه. وفي عام ١٨٥٠، شغل منصب مدير البريد في بيروت، والتقى ماكسيم دو كامب وغوستاف فلوبير بعد رحلتهما في مصر. وفي عام ١٨٥٩، التقى روجييه بهنري سوفير في بيروت. ثم سافر إلى سوريا، وأنجز لوحات مائية ورسومًا. عاد إلى باريس عام ١٨٦٤.

كلود ماري فيرييه وشارل سولييه | Claude-Marie Ferrier & Charles Soulier

كلود ماري فيرييه (١٨١١–١٨٨٩) وشارل سولييه (١٨٤٠–١٨٧٥) مصوران فرنسيان شريكان منذ ١٨٥٩، أنتجا مكتبة ضخمة من الصور المجسمة من جميع أنحاء العالم. كان فيرييه مصورًا بارعًا ابتكر الصور المجسمة الزجاجية؛ وشارك في المعرض الكبير في لندن عام ١٨٥١. في عام ١٨٥٢ كان يعمل لدى صانع المعدات البصرية والتصوير الفرنسي لويس جول دوبوسك (١٨١٧–١٨٨٦) في باريس، فأنجز أول صورة مجسمة زجاجية. وعندما تعاون فيرييه عام ١٨٥٩ مع مصور مجسم ناجح آخر، تشارلز سولييه أصبحت شركتهما الأكثر نجاحًا.

في عام ١٨٦٣، باع فيرييه وسولييه شركتهما لمويس ليون وإيزاك (جورج) ليفي. أصدرت الشركة صورًا لشرق البحر الأبيض المتوسط، بما فيها اليونان والقسطنطينية ومصر وفلسطين وبيروت وبعلبك ودمشق. وفي أحد الكتيبات التي أصدرها سولييه، رُقِّمت المناظر السورية من أوائل ستينات القرن التاسع عشر، وفيها تسعة مناظر لدمشق، وثمانية لحماه، وأربعة لقلعة الحصن، ومنظر واحد لطرابلس، وأربعة لبيروت ونهر الكلب، وسبعة لبعلبك، وأربعة للقدس والناصرة. وفي ألبوم آخر نشره ليون وليفي عام ١٨٧٠، مناظر لبيروت ودمشق، ينتهي بصور لافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩.

إميلي بيك | Emily Beke

إميلي ألستون بيك (١٨٣٧–١٩١١) مصورة فوتوغرافية إنكليزية هاوية، سافرت إلى سوريا وفلسطين ومصر بين ١٨٦١ و١٨٦٢ مع زوجها تشارلز تيلستون بيك، الرحالة والجغرافي والناقد التوراتي. وكان الهدف من رحلتهما استكشاف وتحديد موقع حران، أو «شران» المذكورة في الكتاب المقدس، وغيرها من المواقع المذكورة في سفر التكوين. كانت خطتهما بدء الرحلة عام ١٨٦٠، ولكن بسبب الحرب الأهلية في لبنان، أجّلا رحلتهما حتى ١٨٦١، ووصلا إلى بيروت في ٥ كانون الأول ١٨٦١. وكان يساعد السيدة بيكه المصور الإيطالي بييترو سانينو (١٨٠١–١٨٦٤)، وزوَّد مصورين آخرين بالمواد الكيميائية والمعدات. أُتلفَت معظم صور إميلي بيك إذ انجرف القارب بها وبرفاقها عبر نهر الأردن بفعل تيار قوي. وبقي عدد قليل منها استُخدم رسومًا توضيحية في كتابها Jacob's Flight.

جون كرامب | John Cramb

جون كرامب (نشط بين١٨٦٠ و١٨٧٤)، مصور رائد والأمين العام لجمعية غرب اسكوتلندا للتصوير الفوتوغرافي. كان يمتلك استوديو تصوير في غلاسكو بالشراكة مع شقيقه جيمس. عرض لأول مرة بعض صور الكولوديون والصور الفوتوغرافية الداغيرية عام ١٨٥٥ لدى الجمعية البريطانية في غلاسكو. تحمل صوره أحيانًا ختمًا يحمل عبارة «ج. كرامب– مصور الملكة» وعلامة صفراء صغيرة على الوجه الخلفي. سافر إلى سوريا عام ١٨٦٠؛ وروى رحلته إلى فلسطين في سلسلة مقالاته «فلسطين عام ١٨٦٠...» نشرها في المجلة البريطانية للتصوير

الفوتوغرافي عام ١٨٦١. زار وصوّر معظم المواقع الرئيسية ذات الصلة، مُلبيًا تعليمات الناشر بتصوير مشاهد ذات أهمية توراتية. لم يفصّل زيارته بيروت، لكنه صوّر المدينة بعد مغادرته القدس، مختارًا ميناء بيروت ليبدأ رحلته عائدًا إلى إنكلترا. ولدى قسم التصوير الفوتوغرافي في المعرض الدولي ١٨٦٢ (معرض لندن الكبير) شارك الأخوان كرامب في جناح «مناظر في فلسطين» ببعض صور كنقوش؛ أما صور بيروت فالتُقطت من مسافة بعيدة، وهي تقنية استخدمها طوال رحلته. طُبعت إحدى صوره لبيروت كنقش في طبعة كولينز للكتاب المقدس عام ١٨٦٥.

فرانسيس بيدفورد | Francis Bedford

كان فرانسيس بيدفورد (١٨١٦–١٨٩٤) مصورًا فوتوغرافيًّا وفنانًا وناشرًا بريطانيًا. اكتسب شهرته من خلال رسومه المعمارية الكنسية والطباعة الحجرية. بدأ ممارسة التصوير الفوتوغرافي في أوائل خمسينات القرن التاسع عشر وأتقن تصوير المناظر الطبيعية والعمارة. قبل سفره إلى الشرق، أنتجَ سلسلة صور فوتوغرافية وبطاقات مجسمة وبطاقات زيارة تحمل اسم «ف. بيدفورد، مصور صاحب السمو الملكي أمير ويلز». في عام ١٨٥٧، انضم إلى جمعية التصوير الفوتوغرافي في لندن، وانتُخب عضوًا في مجلسها عام ١٨٥٨، ونائبًا للرئيس عامي ١٨٦١ و١٨٧٨. في ٢٢ كانون الثاني ١٨٦٢، طلبت الملكة فيكتوريا من بيدفورد مرافقة ابنها الأمير إدوارد (أمير ويلز) في جولة تعليمية في البحر الأبيض المتوسط. في ٢٩ آذار ١٨٦٢، وصلت الفرقة الملكية إلى يافا، ثم بلغت بيروت نهار ٥ أيار، وفيها التقط بيدفورد أربع صور اختار منها صورتين للعرض والنشر، ولم ينشر الأخريَيْن.



أفراد من الباشي بوزوكي
بعدسة بيدفورد
(بيروت ٦ أيار ١٨٦٢)

التقط بيدفورد ٢١٠ صور فوتوغرافية خلال الجولة. وبرع في استخدام عملية الكولوديون الرطب مكان أي طريقة أخرى للتوثيق البصري كالطباعة الحجرية. تميزت مناظره بالدقة و كان يوقّع ويؤرخ في كل زاوية سفلية.

اختار بيدفورد ١٧٢ لوحة، عُرضت عام ١٨٦٢، ونُشرت بين ١٨٦٣ و١٨٦٦ في ثلاث حافظات، كل منها بقياس ٤٧ × ٦٠ سم، في ٢١ جزءًا، في كل منها ثماني مطبوعات أو أكثر. ولاحقًا في عام ١٨٦٦، نُشرت منها ٤٨ مطبوعة مصغّرة في كتاب «الأرض المقدسة، مصر، القسطنطينية، أثينا، إلخ...»، بمقدمة من ويليام م. طومسون. بيعت هذه المطبوعات المصغّرة الحجم لِمَن لم يتمكنوا من تحمُّل التكلفة العالية للسلسلة الكبيرة الكاملة.

هـ. ت. بومان | H. T. Bowman

كان هـ. ت. بومان مصورًا فوتوغرافيًّا بريطانيًّا محترفًا، وصديق هنري بيكر تريسترام (رجل الدين الإنكليزي) وباحثًا في الكتاب المقدس، وعالم طيور. قام برحلات إلى سوريا خلال خريف ١٨٦٣ والتقط صورًا في بيروت. في مقدمة كتاب «أرض إسرائيل...»، كتب تريسترام أنه سافر إلى سوريا مع مجموعة صغيرة من الأصدقاء لدراسة جيولوجيا البلاد وتاريخها الطبيعي بشكل رئيسي. ووصف تريسترام كيف صوّر بومان الطلاب في المدرسة البريطانية السورية في بيروت (رئيستها إليزابيث بوين طومسون) وكيف ارتدى التلامذة أبهى حلة لالتقاط الصور.

هنري فيليبس | Henry Phillips

العريف هنري فيليبس (١٨٣٠–١٩٠٥/١٩٠٦) مهندس ملكي، ومصور بريطاني رافق أولى بعثات صندوق استكشاف فلسطين إلى الأرض المقدسة. تعلم التصوير الفوتوغرافي جزءًا من تدريبه في المدرسة العسكرية للمهندسين الملكيين في تشاتام ودرّس فيها سنة ١٨٥٦. انضم إلى المهندسين الملكيين في ديفونبورت عام ١٨٥٣ وخدم معهم حتى عام ١٨٧٤.

كانت رحلته الأولى إلى الأرض المقدسة مع بعثة الكابتن تشارلز ويلسون، لدراسة استطلاعية استعدادًا لمسح غرب فلسطين. بدأت البعثة عملها في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٦٥؛ وبعد زيارة بيروت والتقاط صور فيها، سافروا شرقًا إلى بعلبك ودمشق وفلسطين. وفي بيروت التقط صورًا للمدينة ومحيطها، بما في ذلك نهر الكلب. عُرضت صورتان لبيروت للبيع

في كتالوغ نشره صندوق استكشاف فلسطين؛ وصف الأولى: «إلى الجنوب والجنوب الغربي من بيروت، تتعدى الرمال المتدفقة المدينة باستمرار، ويُظهر هذا المنظر منزلاً في حديقة توت مدفون جزئيًا بسبب تقدمها». وفي الصورة الأخرى غابة الصنوبر، ووصفها: «بستان صنوبر جنوب بيروت، زُرِعَ في أوائل القرن السابع عشر على يد الزعيم الدرزي فخر الدين، لحماية حديقة بيروت من الرمال المتطايرة».

انتهت هذه البعثة الأولى في ١٤ أيار ١٨٦٦ وأبحر فيليبس من يافا إلى لندن حاملاً ١٦٤ صورة سلبية زجاجية، وعرضَ منها «صندوق استكشاف فلسطين»، في كاتالوغ خاص، ٣٤٨ صورة فوتوغرافية التقطها خلال بعثات ١٨٦٥ و١٨٦٦ و١٨٦٧، بينها صور مناظر لبيروت وبعلبك ودمشق وبانياس، وأماكن في فلسطين وشرق الأردن.

لودوفيكو هارت | Ludovico Hart

كان لودوفيكو فولفغانغ هارت (١٨٣٦–١٩١٩) مصورًا فوتوغرافيًّا بريطانيًّا من أصل ألماني-نمساوي. التحق نحو ١٨٥٤ بسلاح المهندسين الملكي لأربع سنواتٍ درس خلالها التصوير الفوتوغرافي. قدّم سلاح المهندسين الملكي (معروف بـ«المهندسين العسكريين») لصفوفه مجموعة مهاراتٍ بينها التصوير الفوتوغرافي لِمهمَّات الاستطلاع. وفي الجيش طوّر لودوفيكو مهاراته الفوتوغرافية ومارس التصوير تحت إشراف مصور سلاح المهندسين الملكي تشارلز ثورستون طومسون (١٨١٦–١٨٦٨). بعد مغادرته الجيش عام ١٨٥٨، واصل مسيرته في التصوير الفوتوغرافي وسافر إلى باريس موظفًا في استوديو المصور الباريسي الشهير أندريه أدولف يوجين ديسديري (١٨١٩–١٨٨٩).

في ١٧ آذار ١٨٦٥، انطلق عند الفجر في بعثة من الإسكندرية إلى يافا وبلغها صباح اليوم التالي. لم تغادر الباخرة عائدةً إلا بعد الخامسة مساءً فأُتيح للبعثة فرصة زيارة المدينة. في اليوم التالي، وصلت صباحًا باكرًا إلى بيروت. وفيها أفاد هارت من العمل «تحت حماية خاصة من القنصل الفرنسي، ومعهم معدات وذخيرة تكفي لعشرين طلقة، ودعنا بيروت مُوَقَّتًا ووجهنا وجوهنا إلى أرض الموارنة». سافرت المجموعة شمالاً وقضت الليلة في قرية الزوق (كسروان) وصوّر لودفيكو القرية والنساء العاملات في أنوال الحرير. وسافرت البعثة إلى دمشق لبضعة أيام، ثم عادت إلى بيروت.



بيروتيَّان بزيِّهما التقليدي (هارت، ١٨٦٥)

تُعدّ جودة صور هارت الشخصية شهادةً على خبرته العالية كمصور بورتريه. كرّس «سوريا» بالكامل للأزياء السورية. وكان المصورون الناشطون قبل ستينات القرن التاسع عشر في شرق البحر الأبيض المتوسط، يركزون جهودهم على التقاط صور للآثار القديمة أو المواقع التوراتية، ولم يُغامر سوى بعضهم بتصوير السكان المحليين. تغيَّر هذا الوضع مع بداية ستينات القرن التاسع عشر عندما بدأ المصورون بفتح استوديوهات في الشرق. ومع أن صور هارت تُجسّد رؤية استشراقية، كانت صوره تجذب المشاهدين الأوروبيين، سجلاً وثائقيًا للأزياء التي اختفت مع مرور الوقت.

في عام ١٨٧٧، هاجر هارت إلى أستراليا مواصلاً مسيرته فألقى محاضرات حول مواضيع وتقنيات مختلفة تتعلق بالتصوير، وأسس نادي التصوير الفوتوغرافي في كلية العمال. ثم تقاعد في هاواي حيث توفي عام ١٩١٩.

جياكومو بروجي | Giacomo Brogi

كان جياكومو بروجي (١٨٢٢–١٨٨١) نقّاشًا ومصوّرًا فوتوغرافيًّا إيطاليًّا مقيمًا في فلورنسا. في عام ١٨٤٠ عمل مع الرسام الكلاسيكي الجديد لويدجي باردي في تنقيح الأعمال الفنية. بين ١٨٥٦ و١٨٥٩، بدأ العمل في التصوير الفوتوغرافي. وفي عام ١٨٦٠، افتتح الاستوديو الخاص به في فلورنسا («جياكومو بروجي فوتوغرافي») متخصصًا في تصوير البورتريه وإعادة إنتاج الأعمال الفنية واللوحات.

في شتاء ١٨٦٨–١٨٦٩، انطلق في رحلة تصوير فوتوغرافي إلى مصر وسوريا، وصوَّر في فلسطين، وأنتج صورًا مجسمة، وألبومًا بعنوان «سجل فلسطين» مع ملاحظات توضيحية بالفرنسية والإنكليزية، فيه صورتان عامتان لبيروت. وبعد عودته إلى إيطاليا، جمع ألبومًا للصور الملتقطة في فلسطين، وقدمه للبابا بيوس التاسع فمنحه مِدالية فضية. وقدم نسخًا من الألبوم نفسه إلى فيكتور إيمانويل الثاني أول ملك لإيطاليا الموحدة وإلى خليفته رينيريو كارلو إيمانويل أومبرتو الأول، ورُشِّح لاحقًا مصورًا لجلالة الملك عام ١٨٧٨.

جول أندريو | Jules Andrieu

كان جول أندريو (١٨١٦–١٨٨٤) مصورًا فرنسيًّا محترفًا، نشط بين خمسينات وثمانينات القرن التاسع عشر. بين ١٨٦٢ و١٨٦٩، صوّر في فلسطين وسوريا ومصر (١٨٦٩). وخلال رحلته إلى مصر وسوريا، التقط صورًا في بيروت. وفي عام ١٨٦٩، وأصدر «الكاتالوغ التاريخي والوصفي للمشاهد المجسمة لفلسطين (الأرض المقدسة) من سوريا ومصر»، في ٤٠ صفحة. التقطت معظم الصور المجسمة خلال الرحلة في فلسطين، مع أنه صوّر أيضًا في صور وصيدا وبعلبك (١٠ مناظر) وبيروت ومصر. وكل صورة مصحوبة بملاحظة توضيحية من الكتاب المقدس أو بأهميتها التاريخية. وفي عام ١٨٨١، عُيّن نائبًا للقنصل الفرنسي في جيرسي لثلاث سنوات حتى وفاته في شباط ١٨٨٤.

بيتر بيرغهايم | Peter Bergheim

كان بيتر بيرغهايم (١٨٤٤–١٨٨٥) أول مصور أوروبي يفتتح استوديو في القدس أواخر خمسينات القرن التاسع عشر. في تلك الفترة بدأ

مصورون محترفون أجانب بفتح استوديوهات في القاهرة وبيروت والقدس والقسطنطينية. وسيطر مصورون مثل فيليكس بونفيس، وتانكريد دوماس، وجان باتيست شارلييه، وأنطونيو بيتو، وغيرهم، على إنتاج الصور الفوتوغرافية حتى أواخر ١٨٨٠ إذ ظهرت كاميرا كوداك السهلة الاستخدام فتراجع دور الاستوديوهات.

اضطلع بيتر بيرغهايم، أحد أبناء ملفيل بيرغهايم الأربعة، بدور بارز في التصوير الفوتوغرافي في فلسطين بين ١٨٦٠ و١٨٨٠. كان مرسمه في القدس ملتقىً للعديد من علماء الآثار والباحثين الأوروبيين والمسافرين والحجاج الذين اعتادوا الحصول على صور بيرغهايم منه مباشرةً. غطت أنشطته الفوتوغرافية جميع أنحاء فلسطين. وهو التقط مناظر طوبوغرافية للأماكن التوراتية، وأصدر سلسلة مناظر مجسمة. وشملت مناظره بيروت وبعلبك ودمشق.

باسكال صباح | Pascal Sébah

كان باسكال صباح (١٨٢٣–١٨٨٦) مصورًا فوتوغرافيًا رائدًا في القسطنطينية، وهو من أصل سوري. في عام ١٨٥٧ افتتح استوديو «الشرق» في شارع بيرا. وفي عام ١٨٧٣، أمرت السلطات العثمانية بالتوثيق الفوتوغرافي للأزياء العثمانية استعدادًا لمعرض كبير في فيينا عامئذٍ. كان باسكال أحد المصورين الذين كُلِّفوا بجزء من العمل، والتُقطت الصور في محترفه. نُشرت النتائج في كتاب «الأزياء الشعبية لتركيا عام ١٨٧٣» حوى ٧٨ لوحة تصويرية، ونُشر في طبعة محدودة من ٦٠٠ نسخة. وضَّحت اللوحات أزياء من مختلف أنحاء الإمبراطورية العثمانية، بما فيها بيروت. منحه منظمو معرض فيينا مِدالية ذهبية، ومنحه السلطان عبد العزيز وسامًا مجيديًّا من الدرجة الثالثة. وأدى نجاحه في فيينا إلى توسع أنشطته الفوتوغرافية في مصر. وفي نهاية ١٨٧٣، افتتح استوديو ثانيًا بجوار فندق شبرد في القاهرة.

بعد وفاته عام ١٨٨٦ أدار شقيقه الاستوديو في القسطنطينية، ودرّب جان ابن باسكال (١٨٧٢–١٩٤٧) فدخل في شراكة مع المصور الفرنسي بوليكارب جوييليه (١٨٤٨–١٩٠٤) الذي عاش في القسطنطينية، وغُيّر اسم الاستوديو إلى صباح وجوييليه. وشارك صباح وجوييليه في مشروع تصوير عثماني كبير آخر كلفهم الباب العالي ومصورين آخرين تسجيل وتعزيز تحديث الإمبراطورية بالتقاط صور للمؤسسات الجديدة والأحداث المهمة، بما فيها المدارس والمستشفيات والثكنات العسكرية وكليات الطب

والحقوق والمساجد الشهيرة وزيارات كبار الشخصيات الأجنبية والكنائس والمتاحف، إلخ. زار صباح وجويليه بيروت والتقطا صورًا للمدارس والثكنات بين ١٨٨٠ و١٨٩٣. وهي مدرجة ضمن المجموعة الفوتوغرافية الرائعة للسلطان عبد الحميد الثاني.

لويس صابونجي | Lois Saboungi

كان جون لويس بن يعقوب بن إبراهيم صابونجي (١٨٣٨–١٩٣١)، أول من أدخل التصوير الفوتوغرافي إلى بيروت. وُلد عام ١٨٣٨ في ديريك (مدينة في قضاء ديار بكر – جنوب تركيا). عاش والده يعقوب صابونجي وجدُّه ابرهيم في ماردين، ومع انتشار الكوليرا في مطلع خمسينات القرن التاسع عشر، غادرا أورفا (شانلي أورفا) عام ١٨٥٢ إلى حلب وبيروت مع عدة عائلات سريانية أخرى.

في عام ١٨٥٤، وفي السادسة عشرة من عمره، أرسله البطريرك السرياني إغناطيوس أنطون السمهيري لدراسة اللاهوت لدى مجمع نشر الإيمان في روما. بعد ثماني سنوات ونصف السنة من دراسة العلوم الإنسانية والفلسفة، حصل على دكتوراه في الفلسفة. وخلال وجوده في روما تعلم التصوير الفوتوغرافي، حتى إذا انتهى من دراسته انتقل إلى بيروت في ستينات القرن التاسع عشر، منافسًا شخصيات دينية مارونية، وانطلق منها في آب ١٨٧١ ليبدأ رحلة حول العالم حاملاً كاميرا في يده، وهو مشروع حلم به لسنوات عدة. وفي عام ١٩٠١، نشر كتابًا مصورًا في نحو ١٠٠ صورة، وصف فيه رحلته التي زار فيها نحو ٢٥٠ مدينة.

«تاريخ الصحافة العربية» للفيكونت فيليب دي طرازي هو المصدر الرئيس لسيرة لويس صابونجي الذي زوَّد دي طرازي بمعلومات لنشر كتابه عن تاريخ الصحافة في العالم العربي. وفي عام ١٨٧١ عاد الصابونجي إلى بيروت لمواصلة خدماته الدينية، وكان يمارس التصوير الفوتوغرافي في منزله. غادر بيروت بعد سرقة منزله، وفي نهاية آذار ١٨٧٤، سافر إلى الولايات المتحدة، ومنها إلى إنكلترا مستقرًّا في مانشستر عام ١٨٧٥، وفيها أعلن تفاصيل اختراعه تحسينات في الأجهزة المستخدمة في طباعة الصور الفوتوغرافية المُصممة للاستخدام الخارجي، باستخدام الكولوديون الرطب أو الجاف. وفي لندن، شارك في أنشطة إلى جانب السياسة والصحافة. درّس اللغات الشرقية لدى المعهد الأمبراطوري في لندن، وفي ١٧ كانون الأول ١٨٧٨، انتُخب عضوًا في الجمعية الملكية الآسيوية (لندن) وأكاديمية ليتريا ديجلي أركادي (روما). في عام ١٨٨٠،

استقبلته الملكة فيكتوريا. وبعد عشر سنوات في إنكلترا، غادر في آذار ١٨٨٦ إلى فرنسا وإيطاليا ثم إلى مصر. وضع كتبًا بعد تقاعده، منها سردٌ لأسفاره حول العالم في كتابي «رحلة النحلة» و«الديوان»، وكلاهما زُوّد بصوره ونقوشه. عُثر على مذكرات صابونجي وأوراقه وصوره في القسطنطينية بعد رحيله وإقامته القصيرة في لبنان. هاجر لاحقًا إلى الولايات المتحدة حيث تُوفي عام ١٩٣١.

جورج صابونجي | George Saboungi

كان جورج صابونجي (١٨٤٠–١٩١٠) مصورًا رائدًا في بيروت منذ منتصف ستينات القرن التاسع عشر. تعلّم التصوير الفوتوغرافي على أخيه الأكبر لويس عام ١٨٦٣. في عام ١٨٧٩، وصف لويس كيف أدخل التصوير الفوتوغرافي إلى بيروت في مقال «تقدم الصناعة في بيروت»، وفيه: «كنا نسعد بقراءة الصحف الشرقية التي تُشيد بالمصور جورج صابونجي لإتقانه التصوير الفوتوغرافي. درس هذا الشاب مبادئ فن التصوير الفوتوغرافي وفقًا لتعليماتي، عندما كنت أعيش في بيروت.» ويومَ والي سوريا مدحت باشا زار بيروت وسمع عنه، طلب منه أن يلتقط له صورة شخصية، فأهداه صورته مطبوعة على منديل كتان. أعجب الوالي بالأعمال فطلب إنتاج ٣٦ نسخة منها. وعندما استلمها سمح لجورج أن يطبع على جميع صوره لقب «مصور لمدحت باشا، والي سوريا». وكان جورج صابونجي أحد المصورين المحليين الذين ساعدوا فيليكس بونفيس خلال رحلاته الفوتوغرافية في سوريا ومصر واليونان والقسطنطينية. أقدم صورة له تعود إلى ١٨٦٦: صورة المدرسة الوطنية التي أسسها بطرس البستاني عام ١٨٦٣.

منظر من تلة زقاق البلاط باتجاه الشرق عدسة جورج صابونجي (ثمانينات القرن التاسع عشر)



في عام ١٨٨٩ تغير موقع استوديو جورج صابونجي مرارًا. أُدرج في «دليل بيروت» وحُدّد موقعه في ساحة القمح. في العام نفسه، كان الاستوديو في سوق سرسق؛ ثم انتقل قرب حاووز الساعاتية عندما انضم فيليب صابونجي إلى والده جورج قبيل وفاته عام ١٩٠٩. استمر الاستوديو في العمل حتى الحرب العالمية الأولى. أعلن فيليب بن جورج بن يعقوب، المعروف بصابونجي، في إعلان له: «أهم وأشهر محل فوتوشوب في سورية [صابونجي]؛ ونظرًا لانخفاض أسعار صناعة التصوير، على من يقرأ هذا الإعلان أن يفهم معناه ويزور محلنا على طريق حاووز الساعاتية».

أنتج صابونجي بطاقات زيارة لشخصيات أدبية وسياسية بارزة من بيروت ومسؤولين في الحكومة العثمانية، إلى صور لمناظر طبيعية التُقطت في الشرق الأوسط. ونشر في مجلة «المقتطف» الشهرية سلسلة مقالات شرح فيها تقنيات التصوير الفوتوغرافي، وترجم إلى العربية مقالات مهمة نُشرت في المجلة البريطانية للتصوير الفوتوغرافي.

في كانون الأول ١٨٨٣ نشر «المقتطف» محاضرة جورج صابونجي «أعمال المرايا». وألَقى المحاضرة ذاتها في تشرين الثاني ١٨٩٣ في اجتماع جمعية الصناعة. ومما قال: «تعلمت التصوير الفوتوغرافي، وواجهتُ صعوبات كثيرة، وشعرت أحيانًا باليأس. لكنني واصلتُ العمل حتى نجحت. في جلسة سابقة، عرضْتُ عليكم صورة تضيء ليلاً، أنتجتها بعد القراءة والتجربة. وأريتكم في جلسة سابقة كيفية طباعة الصور على المنسوجات كما على الورق، ولدي الآن آلة تلتقط الصورة في أقل من تسع ثوانٍ، حسّنتُها لأتمكن من التصوير بأسرع ما يمكن».

كان صابونجي ناشطًا في بلدية بيروت، وحصل على أوسمة إمبراطورية عام ١٨٩٢. وفي آب ١٨٩٥، وبفضل علاقاته الطيبة مع المسؤول العثماني، حاول الحصول على إذن لتأسيس جمعية للتصوير الفوتوغرافي. نشرت صحيفة «المعلن الشرقي» (المونيتور الشرقي) ما يلي: «أحالت ولاية بيروت إلى وزارة الداخلية طلبًا من المصور جورج صابونجي لإنشاء جمعية تصوير فوتوغرافي تهدف إلى توفير جميع التسهيلات اللازمة للجمهور ودفع عجلة تطوير هذه الصناعة. ستقدم هذه الشركة نصف دزينة من ألبومات الصور الفوتوغرافية (صورة شخصية) بسعر مجيديتين بدلاً من أربع عند إنشاء هذه الجمعية، وعند تصوير ٥٠٠ شخص، سيُمنح مبلغ ٣٠٠٠ فرنك من الصور للفقراء. كما سيتم تخصيص مكافأة قدرها ٦١٢٠ فرنكًا للزبائن عن طريق يانصيب يتضمن ٦٠٠ رقم فائز. وأحالت وزارة الداخلية الطلب إلى وزارة الأشغال العامة».

فورتوناتو بيستالوزا | Fortunato Pestalozza

كان فورتوناتو بيستالوزا (١٨٠٩–١٨٧٩)، المولود في ميلانو، طبيبًا وعالم نبات ومصورًا هاويًا. مارس الطب في بيروت، ملتقطًا في الوقت نفسه صورًا فوتوغرافية. وظلّ نشيطًا حتى ١٨٦٠. في ألبومَي لويس فينييه اللذين اقتناهما متحف نابو، صورة فوتوغرافية مؤرخة لبيستالوزا ووصفها فينييه بالقلم الرصاص: «حامل ماء مستوحى من صورة فوتوغرافية لفورتوناتو بيستالوزا (لويس فينييه، أكتوبر ١٨٦٠)».

تيودور وهونوريه ليو | Theodore and Honoré Leeuw

كانت استوديوهات التصوير الفوتوغرافي الاحترافية في بيروت نادرة خلال العقدين الأولين بعد اختراع التصوير. أقدمها في أواخر أربعينات القرن التاسع عشر كان للمصور الداغريوتيب الفرنسي من أصل هولندي، تيودور ليو (١٨١٢–١٨٥٦). وكانت صوره الفوتوغرافية لفلسطين وبعلبك وبيروت تحمل ختم «تيودور ليو، مصور فوتوغرافي في بيروت». الإشارة الوحيدة إلى أنشطته الفوتوغرافية موجودة في تذكارات الكونت شارل بول دو كوتلوسكيه «ديرنييه». كتب أنه أثناء سفره في الجليل، «التقى العديد من المسافرين. عند وصولنا لأول مرة، كان فرنسي مقيم في بيروت يسافر عبر فلسطين مع ابنه، لالتقاط صور فوتوغرافية بتقنية الداغريوتيب». توفي تيودور في عكا في ٨ كانون الثاني ١٨٥٦ فاكمل المهنةَ ابنه هونوريه وهو مصور فوتوغرافيّ. في أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر انتقل إلى دمشق. ويُذكَر محترفُهُ في طبعة عام ١٨٨٢ من دليل جوان (Guides Joanne).

تانكريد دوماس | Tancrède Dumas

كان تانكريد دوماس (١٨٣٠–١٩٠٥) مصورًا إيطاليًا محترفًا، من أصل فرنسي. هاجر إلى ميلانو وتعلّم التصوير في فلورنسا لدى أقدم شركة تصوير في العالم، فراتيلي أليناري. بدأ نشاطه الفوتوغرافي بافتتاح استوديو في القسطنطينية في أوائل ستينات القرن التاسع عشر، لفترة قصيرة حتى انتقل إلى بيروت عام ١٨٦٦ وافتتح استوديو بالقرب من فندق بيلفيو المطل على البحر. كان إنتاجه الفوتوغرافي واسع النطاق: التقط صورًا في سوريا وفلسطين والأردن وقبرص وتركيا ورودس ومصر. وظل ناشطًا في الترويج لصوره الفوتوغرافية حتى تسعينات القرن التاسع



سيدة من جبل لبنان (تانكريد دوماس ١٨٨٩)

عشر. أُدرج مرسمه في الأدلة السياحية وصنّفه معظمها على أنه الأفضل: «بين المرسمات الأخرى ذات الجودة الأقل». ويذكر دليل كارل بيديكر لفلسطين وسوريا في طبعة عام ١٨٧٦ أن صوَره كانت «جيدة ورخيصة بشكل عام، وينبغي شراؤها من المصورين لا من تجار يعرضونها في الفنادق». وفي طبعة عام ١٨٩٨ أدرج بيديكر دوماس وبونفيس في الشارع المؤدي من الفندقين الرئيسيين (فندق أورينت وفندق بيلفيو) إلى المدينة: «مصوران جيدان، ومخزون كبير. السعر ٨ فرنكات للدستة».

خلال زيارة الدوق الأكبر فريدريك فرانسيس الثالث عام ١٨٧٢ في رحلة إلى مكلنبورغ-شفيرين شرقًا، رافقه دوماس فمنحه لقب «مصوّر دوق مكلنبورغ الأكبر». في عام ١٨٧٥، كَلّفته «الجمعية الأميركية لاستكشاف فلسطين» بمرافقتها إلى شرق نهر الأردن. وكان قائد البعثة رجل الدين وعالم الآثار الأميركي سيلاه ميريل، الذي وصل إلى بيروت مع أربعة أميركيين آخرين في حزيران ١٨٧٥. وإذ كان وباء الكوليرا ينتشر في المدينة وفرّ ٤٠ ألف شخص من بيروت إلى الريف، تمكّن هو، بمساعدة القنصل الأميركي، من إيجاد غرف في فندق. وفي غضون أيام قليلة، بدأ الاستعدادات للبعثة. وبحلول نهاية حزيران غادروا بيروت. التقط دوماس خلال تلك البعثة مجموعة من الصور الكبيرة، يبلغ قياس كل منها ٢٣ × ٢٨ سم. وتكمن شهرته في توثيقه مواقع وأزياء محلية والتقاطه صورًا شخصية في سوريا. كلفته السلطات العثمانية بتصوير المباني الحكومية في بيروت؛ وتُحفظ سلسلة من تلك الصور في أرشيفات عثمانية مختلفة. وتُصوّر هذه الصور المدارس والمستشفيات ومراكز الشرطة والثكنات العسكرية. هيمن دوماس وبونفيس على مجال التصوير الفوتوغرافي التجاري في الأراضي المقدسة من منتصف ستينات القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن، وثمة عدد كبير من الصور المتطابقة تحمل توقيع بونفيس ودوما. وهو تفوق على أي مصور آخر في بيروت القرن التاسع عشر. وعن رواية

روجر، ابن دوماس، أَتلفَ الجنود الأتراك الصور السلبية لوالده خلال الحرب العالمية الأولى. توفي تانكريد دوماس عام ١٩٠٥ ودُفن في بيروت.

جان باتيست شارلييه | Jean-Baptiste Charlier

كان الفرنسي جان باتيست شارلييه (١٨٢٢–١٩٠٧)، المعروف أيضًا باسم شارلييه بيزيه، مصورًا فوتوغرافيًّا هاويًا. متزوج من ليونيس بيزيه. وصل إلى بيروت عام ١٨٤٥ مع ابن عمه مورغ دالغ، وأنشآ مصنعًا للحرير في عين حمادة (قضاء المتن، جبل لبنان). وعام ١٨٥١ بدأ المصنع إنتاج الحرير وهو كان صناعةً رئيسةً في سوريا القرن التاسع عشر.

بدأ شارلييه أنشطته الفوتوغرافية في أوائل ستينات القرن التاسع عشر، وسافر إلى لبنان وسوريا وفلسطين. وبعكس المصورين المعاصرين، لم يسافر إلى مصر أو اليونان أو تركيا. صوّر مواقع لم تُصوَّر من قبل، وخاصةً في سليمة (قرب مصنعه للحرير في جبل لبنان). في عام ١٨٦٧، افتتح مكتبة تسمى «المكتبة الفرنساوية» (Librairie Française) في سوق النصارى (سوق الطويلة).

كان المصورون المقيمون في بيروت يبيعون أعمالهم في المكتبات والفنادق. لكن شارلييه باع صوره في مكتبته، وأنتج ألبومات وصورًا مجسمة وبطاقات بريدية تُصوّر مناظر سورية. نُشرت هذه الألبومات في ثمانينات القرن التاسع عشر بواسطة مكتبة شارلييه–بيزييه وأبنائه في بيروت بعناوين مثل «نظرات من سوريا»، و«صور فوتوغرافية لج. ب. شارلييه–بيزييه»، و«نظرات من بيروت»، و«تذكار من الشرق».



حديقة ساحة البرج في وسط بيروت بعدسة شارلييه (ثمانينات القرن التاسع عشر)

التقطت صوره أزياء وحرَفًا سورية. وظلت معظم صوره في حالة جيدة، عكس صور تانكريد دوماس. وكان يُرقّم أعماله بالفرنسية ويوقّع بعضها بخط يده بالحبر الأحمر. يتضح من ترقيم الصور أنه التقط نحو ٧٠٠ صورة. كان السكان المحليون والأزياء والحرف اليدوية والعادات محور أنشطته التصويرية، إلى جانب تصوير المناظر الطبيعية والآثار. وهو اتّبع، كغيره من المصورين الأوروبيين، أسلوبًا تصويريًا «غريبًا» لتلبية متطلبات عملائه. أعلن بانتظام في جريدة «لسان الحال» أنه الممثل الوحيد لمصنع «كريستوفل» الفرنسي الشهير في بيروت، وكان يبيع في مكتبته الورق والمظاريف والحبر. تظهر صوره في كتب رحلات تلك الفترة، منها: «سوريا اليوم، رحلات في فينيسيا، لبنان واليهود ١٨٧٥–١٨٨٠» للويس لورتيه (باريس، ١٨٨٤).

إدوارد أوبان | Edouard Aubin

منذ ١٨٨٧، كان شارلييه شريكًا تجاريًا لإدوارد أوبان، وهو مصور فرنسي آخر كان يدير استوديو (إي. أوبان وشركاؤه) منذ ١٨٦٧ في سوق الطويلة. وأدار أوبان متجر «Au Gant Rouge»، أيضًا في سوق الطويلة. في تموز ١٨٨٧ نشرت جريدة «لسان الحال» إعلانًا بأن شارلييه وأوبين بدآ شراكة لدمج متجريهما في سوق الطويلة.

ورد أول ذكر لأوبين كمصور فوتوغرافي مقيم في بيروت في «دليل جوان» عام ١٨٨٢. وقد يكون شارلييه باع «سلبياته» إلى أوبين الذي باعها بدوره باسمه. وصفه أوبين في كتابه «مصور فني، أزياء ومناظر شرقية». اشتهر أوبان بسلسلة استثنائية من ٣٠ دراسة عارية قدمها عام ١٨٨١ إلى المكتبة الوطنية الفرنسية. وكان التقطها هو ودوماس كنماذج للوحات الاستشراقية المثيرة (نوع فني شاع في أوروبا خلال القرن التاسع عشر). ووفقَ الإعلانات المنشورة في الصحف والمجلات اللبنانية، استمرت مكتبة شارلييه في العمل حتى عام ١٩٣٩. وفي مطلع القرن العشرين، اشترى ملكي ومنسّى استوديو أوبان، واستمرا في العمل حتى الحرب العالمية الأولى.

فيليكس بونفيس | Félix Bonfils

بين ١٨٥٧ و١٨٩٥ هيمن على سوق التصوير الفوتوغرافي في شرق البحر الأبيض المتوسط ثلاثة مصورين فرنسيين: الزوجان فيليكس وليدي

وابنهما أدريان بونفيس. عملوا من استديو لهم في بيروت، وأسسوا أنجح نظام لتوزيع صورهم حول العالم فلم ينافسهم أي مصور آخر عمل في المنطقة خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

وُلد فيليكس بونفيس (١٨٣١—١٨٨٥) في سان هيبوليت دو فورت في جارد، جنوب فرنسا. كان مُجلِّدًا للكتب، وتزوج ماري ليدي كابانيس (١٨٣٧—١٩١٨) عام ١٨٥٧. وفي خمسينات القرن التاسع عشر، التقى بأبيل نيبس دي سان فيكتور (١٨٠٥—١٨٧٠) وهو مخترع فوتوغرافي فرنسي عمل على تثبيت الألوان الفوتوغرافية الطبيعية وإتقان عملية التصوير الشمسي. وكان لسان فيكتور تأثير على مسيرة فيليكس بونفيس المهنية كمصور فوتوغرافي.

كان بونفيس يعمل في أليس (Alès) منذ ١٨٦٤، يلتقط صورًا شخصية ويجري دراسات معمارية. قبل ثلاث سنوات (١٨٦١)، وُلد ابنه أدريان. وبسبب اعتلال صحته، نصحه بتغيير مكان إقامته فقرر المغادرة إلى بيروت. كان فيليكس ضمن القوة العسكرية الفرنسية المُوفدة إلى سوريا خلال الحرب الأهلية عام ١٨٦٠. وبحلول ١٨٦٧، كان هو وعائلته يقيمون في بيروت، وافتتحوا استوديو تصوير فوتوغرافي أصبح حجر الزاوية في تطوير التصوير الفوتوغرافي في شرق البحر الأبيض المتوسط في النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

سافر فيليكس في جولات تصويرية إلى سوريا وفلسطين ومصر واليونان وتركيا. وبحلول كانون الأول ١٨٧١، عندما أبلغ عن إنجازاته للجمعية الفرنسية للتصوير الفوتوغرافي، كان لديه نحو ١٥,٠٠٠ نسخة «ألبومين» في مخزونه، حصل عليها من ٥٩٠ سلبيَّة صُنعت في سوريا وفلسطين ومصر واليونان.

في عام ١٨٧٢، نشر بونفيس في باريس كتابه «العمارة العتيقة: مصر، اليونان، آسيا الصغرى». تضمن الكتاب ٥٠ نسخة في البومين، موقعة باللون الأسود على السلبي. كانت هذه الصور أقدم صور للشرق الأوسط التقطها فيليكس بونفيس بين ١٨٦٧ و١٨٧٢. نُشر أول كاتالوغ لصور استوديو بونفيس في أليس عام ١٨٧٦، وتألف من ٢٤ صفحة، بعنوان «كتالوجات صور فوتوغرافية للشرق، صور فوتوغرافية من فيليكس بونفيس»، كما نشر كاتالوغًا ثانيًا مُوسعًا من ٣٠ صفحة قبل وفاته. وأكبر مجموعة صور فوتوغرافية بعنوان «ذكريات الشرق» نشرت بين ١٨٧٧ و١٨٧٨ في خمسة مجلدات.

ماري ليدي كابانيس بونفيس

حاز فيليكس بونفيس على ميدالية في المعرض العالمي بباريس عام ١٨٧٨ بفضل مشروعه المتميز «تذكارات الشرق». وهو التقط معظم مناظر الطبيعة في المجموعة، والتقطت زوجته ماري ليدي نحو ٣٠٠ صورة للأزياء والمشاهد في الكاتالوغ. وهي كانت أول مصورة محترفة في الشرق الأوسط، التقطت معظم صورها داخل الاستوديو الذي كانت تديره أثناء غياب زوجها في أليس بفرنسا. في عام ١٨٧٣ ذكر القس صموئيل مانينغ (كان مسافرًا في الأراضي المقدسة) بأن بعض المناظر في كتابه «تلك الحقول المقدسة» التقطتها السيدة بونفيس من بيروت، وشَكَرَها.

في عام ١٩٠٧، بعد سنوات على وفاة زوجها، نشرت الليدي بونفيس كتالوغًا من ٥٩ صفحة في بيروت بعنوان: Catalogue général des vues photographiques de l'Orient (بيروت، ١٩٠٧). وفي معظم كتب الرحلات عن شرق البحر الأبيض المتوسط صور فوتوغرافية التقطتها دار بونفيس. بقي الاستوديو تحت إدارتها حتى العقد الأول من القرن العشرين، حتى تولى إدارته المصور أبراهام غيراغوسيان. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، غادرت ليدي بونفيس إلى القاهرة حيث توفيت عام ١٩١٨.

أدريان بونفيس

بعد وفاة فيليكس بونفيس في ٩ نيسان ١٨٨٥، تولّت زوجته وابنه أدريان إدارة الاستوديو وواصلا تطويره. بدأ أدريان بونفيس (١٨٦١–١٩٢٩) دراسته في سن السابعة في بيروت، وواصل دراسته في فرنسا منذ ١٨٧١. عاد إلى بيروت عام ١٨٧٨ وبدأ بمساعدة والده في الاستوديو. كان يعمل عميدًا لدى «فرقة صيادي أفريقيا» في الجزائر، وعندما توفي والده عاد إلى بيروت وبدأ بمساعدة والدته. ولإثراء مجموعة الصور الفوتوغرافية لدار بونفيس قام مع مساعديه برحلات عدة في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط. وفي كاتالوغ أدريان بونفيس في بيروت عام ١٩٠١ أكثر من ١٦٠٠ صورة فوتوغرافية، بعضها التُقط في بيروت. وفي عام ١٨٩٥، أصدر أدريان مجموعة فاخرة من ٣٠ صورة فوتوغرافية لمحطات سكك حديدية مختلفة بين بيروت ودمشق. وقُدِّمت نسخ من هذه المجموعة التذكارية لضيوف بارزين حضروا افتتاح خط السكة الحديدية الجديد إلى دمشق في بيروت في ٣ آب ١٨٩٥.



منظر من منطقة رأس بيروت بعدسة أدريان بونفيس (نحو ١٨٩٠)

أثرى دار بونفيس بالصُور كذلك أربعة مصورين: هنري رومبو، وقيصر حكيم، وأبراهام غيراغوسيان، وجورج صابونجي. ثم باع أدريان بونفيس الاستوديو لغيراغوسيان فعمل فيه حتى ١٩٣٩، وكان يوقع صوره باسم «خليفة بونفيس». وفي عام ١٩١٤، عندما أعلن الأتراك الحرب على فرنسا، أُسِرَ أدريان بونفيس وأُرسل إلى دمشق ثم إلى حلب وأخيرًا إلى أورفا. في نهاية الحرب، أُطلق سراحه وعاد إلى برمَّانا (جبل لبنان) وأدار فندقًا اشتراه. وحين تدهورت صحته باع الفندق لأمين رزق وتقاعد في نيس حيث توفي في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٩.

هنري رومبو | Henri Rombeau

كان الفرنسي هنري رومبو أستاذ رياضيات، ومُصوّرًا ومترجمًا في بيروت. لا يُعرف الكثير عن أنشطته الفوتوغرافية، إنما في مذكرات اليسوعيين (غزير بين ١٨٧٣ و١٨٧٤ «زيارة السيد رومبو، المُعلّم السابق في الكلية، وأصبح مُصوّرًا ومترجمًا»). بدأ رومبو التعاون مع فيليكس بونفيس عام ١٨٦٧ عند وصوله إلى بيروت وأرسله إلى دمشق في عام ١٨٧٤ لإدارة مرسمه هناك. ثم اتخذ مرسمًا خاصًا به في الحي المسيحي (دمشق) حتى أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر. لا صور موقّعة لرومبو، إنما كان من بين أوائل المصورين الذين عملوا في تدمر بعد لويس فين.

فرانشيسكو كواريلي | Francesco Quarelli

مصور إيطالي في بيروت خلال سبعينات القرن التاسع عشر. نشط في سوريا ومصر حتى تسعينات القرن. ذُكر اسمه كمصور محترف في أربعة أدلة سياحية: دليل شوفيه ويزامبير لعام ١٨٨٢، ودليل بيديكر «فلسطين» في طبعاته الألمانية والفرنسية والإنكليزية. التقط صورًا في بيروت وفلسطين ومصر. صوره نادرة، وفي ٢٥ شباط ٢٠١٠، عُرضت للبيع خلال مزاد علني في فرنسا مجموعة له من ٣٢ صورة فوتوغرافية التَقطها في سبعينات القرن التاسع عشر لبعلبك وتدمر ودمشق والقدس والخليل وجبل طابور والأهرامات.

الأخوة ميلكونيان | The Melconian Brothers

لعب المصورون الأرمن دورًا حيويًا في تطوير التصوير الفوتوغرافي في الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك سوريا خلال أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر. من أبرز المصورين: البطريرك يسايي غرابيديان، وغرابيت كريكوريان (القدس)، وجيمس هـ. هالادجيان (حيفا)، وكريكور مسيرليان (حلب)، والأخوان ميلكونيان، وأبراهام غيراغوسيان، والأخوان صرافيان (بيروت). وكانت الأنشطة التصويرية الأرمنية في الشرق الأوسط بدأت منذ ١٨٥٦ في القسطنطينية.

كان أول المصورين الأرمن الذين أسسوا استوديوهم في بيروت عام ١٨٨٥ هم الإخوة ميلكونيان: ديكران وديران وميلكون. تعلموا التصوير الفوتوغرافي في فان وإسطنبول قبل أن يستقروا في بيروت وأعلنوا عن نشاطهم في الصحف المحلية. ومنذ العام ١٨٨٥، بدأ المصورون الأرمن يتنافسون مع جميع المصورين الآخرين العاملين في بيروت. وكانوا نشطين في التقاط الصور الشخصية وتسجيل أنشطة المبشرين البروتستانت في بيروت. وقد كلفتهم السلطات العثمانية بتصوير المباني الجديدة التي شُيّدت في بيروت، بالإضافة إلى الأنشطة الرسمية وحفلات الاستقبال. وتحتوي الأرشيفات العثمانية في إسطنبول على مجموعة من أعمالهم. ومع ذلك، لم يدم عمل مرسمهم طويلاً؛ وقد تم تصفيتها في عام ١٨٩٥، عندما هاجر ديكران إلى الولايات المتحدة وعاد شقيقاه إلى تركيا.

أبراهام غيراغوسيان | Abraham Guiragossian

تأسس ثاني استوديو تصوير أرمني في بيروت في أوائل تسعينات القرن التاسع عشر كان للأرمني المولود في القدس، أبراهام غيراغوسيان (١٨٧١–١٩٥٦). استمر عمله لفترة طويلة حتى إغلاقه عام ١٩٣٩.

انتقل غيراغوسيان إلى بيروت عام ١٨٨٨، بعد أن تدرب على يد المصور الأرمني غارابيت كريكوريان. وكالمصورين الآخرين، صوّر غيراغوسيان زيارة الأمبراطور ويليام الثاني إلى بيروت عام ١٨٩٨. كما صوّر في فلسطين وسوريا، مما أغنى رصيده. وهو عاون أدريان بونفيس ووالدته في محترفهما. وكان يسافر مع مصورين آخرين مضيفًا صورًا جديدة إلى رصيد استوديو بونفيس. غطّى الأحداث الاجتماعية والسياسية في لبنان، وأصدر ألبومات فوتوغرافية، وأعاد نشر صور فوتوغرافية لمناظر طبيعية ومعمارية لدار بونفيس. وكان يركّز على التقاط الصور الشخصية والبطاقات البريدية.

الإخوة صرافيان | The Sarrafian Brothers

في عام ١٨٩٧ غادر الإخوة صَرافيان (أبراهام وبوغوس وصموئيل) مدينتهم ديكرانجرد (ديار بكر) مُخططين للهجرة إلى أوروبا عبر بيروت. وصلوا إلى بيروت فغيّروا خططهم وقرروا البقاء وافتتاح استوديو تصوير في منطقة باب إدريس، أصبح الاستوديو الأهم في بيروت، واستمر في العمل حتى احترق في الحرب الأهلية عام ١٩٧٥.

سافر أبراهام وبوغوس على نطاق واسع في الشرق الأوسط، وخاصة في لبنان وسوريا وفلسطين، وصوَّرا مواقع أثرية مختلفة وقرى وأزياء وحرَفًا يدوية. عملا نحو خمس سنوات واكتسبا الشهرة والثروة تدريجيًا. أصدرا سلسلة كبيرة من البطاقات البريدية عالية الجودة، وهو قطاع بارز في أعمالهما طيلة ٣٠ عامًا. وكان لعائلة صرافيان ممثلون في دمشق والقدس لمحترفهم، ويزوره الزوار الأجانب والحجاج. وتذْكُر معظم أدلة السفر في تلك الفترة مجموعتهم المتميزة من الصور والبطاقات البريدية. وخلال الحرب العالمية الأولى، كان أبراهام قسيسًا وممثلاً رئيسيًا للطائفة الإنجيلية، وهو المنصب الذي شغله حتى وفاته في حزيران ١٩٢٦.

ساعد بوغوص صرافيان شقيقه في إدارة المحترف، وكانت تربطه علاقات جيدة بالمسؤولين العثمانيين، ما ساعده على تحرير الوطنيين الأرمن من السجون. كُلّف بتصوير مشاريع حكومية مختلفة في بيروت،

واستمر في إدارة المحترف بعد وفاة شقيقه. ولاحقًا، بعد وفاة بوغوص في آب ١٩٣٤، تولى أبناؤه جورج ويرفانت إدارة الشركة.

جول ليند | Jules Lind

في أوائل ١٩٠٠ كان المصور الألماني جول ليند يعمل في بيروت. بدأ مسيرته الفوتوغرافية في إزمير. لا معلومات كثيرة عنه، إلاّ أنه التقط صورًا شخصية وبطاقات زيارة، وصوَّر مواقع في بيروت. عمل في البداية مع بونفيس، ثم افتتح لاحقًا محترفًا خاصًا به. في عام ١٩٠٠ التقط صورًا لافتتاح محطة الحميدية في اليوبيل الفضي لاعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش. وفي عام ١٩١٢ كلفته السلطات التركية بتصوير القصف الإيطالي لميناء بيروت ومحيطه. حصل المصوران أسعد وفريديك دقوني على أرشيفه من الصور السلبية نحو عام ١٩٢٥.

الأخوان كوفا | The Kova Brothers

ازدهرت استوديوهات التصوير المحلية في بيروت منذ منتصف ثمانينات القرن التاسع عشر. ومع تراجع التصوير الاستشراقي وسهولة حمل المسافرين كاميراتهم الحديثة والتقاط صورهم، مهَّد الطريق لتأسيس استوديوهات محلية. ونشرت الصحف اللبنانية في تلك الفترة سلسلة إعلانات لكبار المصورين المحليين، ما أثبت وجود منافسة شديدة بينهم لكسب المزيد من العملاء.

نشرت جريدة «لسان الحال» إعلانًا عن شراكة بين إسكندر كوفا ومصور يُدعى رومان. بدأ الأخوان كوفا أعمالهما عام ١٨٨٦، وكانا يتعاونان مع المصور الفرنسي تانكريد دوماس. كان إنتاج استوديو الأخوين كوفا يعتمد بشكل رئيسي على الصور الشخصية وبطاقات الزيارة. وكلّفتْهما السلطات العثمانية بتصوير المؤسسات الحكومية في بيروت، مثل المدارس والثكنات ومراكز الشرطة؛ وبعض هذه الصور محفوظة في أرشيفات عثمانية مختلفة.

شارك الأخوان كوفا عام ١٨٧٣ في المعرض العالمي في فيينا، وفي معرض فيلادلفيا المئوي عام ١٨٧٨ فعرضا صورًا لمعالم وأزياء سورية. فازا بميداليتين وشهادة تقدير. وفي الوقت نفسه، أعلنا في بيانات أعمالهما أنهما رسَّامان، وأنهما قدّما صورًا شخصية ومشاهد كنسية.

سبيريدون شعيب | Spiridon Shu'aib

كان مصورًا فوتوغرافيًا محليًّا نشط في منتصف تسعينات القرن التاسع عشر. التقط صورًا شخصية، وبدرجة أقل، مناظر طبيعية. ظهرت إعلاناته منذ ١٨٩٥. وفي عام ١٨٩٨ نشر إعلانًا عن محترفه جاء فيه: «إنتاج الصور الفوتوغرافية واللوحات الزيتية، مع التركيز على المعادن والأقمشة والزجاج، وتصوير الطلاب، وكل ما يتحرك مثل الفرسان والراقصين والعدائين والعربات، وسكك الحديد، والرقصات الليلية، التي لم تُلتقط باستخدام ضوء المغنيسيوم الذي يُخرج الأشباح بلا عيون أو أنوف، بل باستخدام ضوء مُبتكر جديد، ذي أهمية كبيرة ويُعطي نتيجة مُضحكة». وفي عام ١٩٠٠، صوّر شعيب احتفال اليوبيل الفضي لاعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني سدة الحكم.

* معظم المادة في هذا النص مختصر بتصرف عن الجزء الأول من كتاب بدر الحاج وسمير مبارك

Badr El-Hage & Samir Moubarak. *Beirut 1840-1918: A Visual & Descriptive Portrait*. Beirut: Kutub, 2022.